

## الفصل الاول

### الصياغات النظرية والأيدولوجية لقضية الطبقة الاجتماعية

أولا : النظرية الماركسية وقضية الطبقة : الجدل والامتداد .

ثانيا : البنائية الوظيفية وقضية الطبقة : الحوار والنقد .



تعد دراسة الطبقات مطلباً نظرياً وعملياً في الوقت نفسه . وباعتبار أن الطبقات الاجتماعية جزء لا ينفصم عن البنية الاجتماعية وتربطها به علاقة وشيجة ، فإن مفهوم الطبقة يعد أحد المفاهيم الاستراتيجية التي تعكس طبيعة البناء الاجتماعي ، أو بمعنى آخر إنه المفهوم القادر على تشرح التكوينات الاقتصادية الاجتماعية من حيث توضيح طبيعة العلاقة الاجتماعية بين المسيطرين والخاضعين .

إن الاهتمام بدراسة هذه القضية قديم قدم البشرية . ولكن المتفحص للمحاولات التي تصدت بالدراسة والتحليل للظاهرة الطباقية يستطيع أن يقف على كم هائل من التباينات النظرية بينها . ولما كان هذا الفصل يهتم بالأساس بطرح المحاولات النظرية التي تحاورت حول مفهوم الطبقة ، فإنه جاء ليعالج قضيتين أساسيتين . الأولى تتعلق بطرح المقولات الماركسية الأرتونوكسية والمحدثة ، وذلك لتبيان الجدل الدائر بين مفكريها وايدولوجيها . أما القضية الأخرى فتعرض لقضية الطبقة في ضوء النظرية البنائية الوظيفية ، تلك النظرية التي تحاورت مع الماركسية فجدت كل مفكريها ومؤسساتها الأيدولوجية لنقد الماركسية ودحضها .

#### أولاً . النظرية الماركسية وقضية الطبقة ، الجدل والامتداد .

يشير مفهوم الطبقة كثيراً من الجدل الفكري سواء من حيث طبيعتها ، أو من حيث المناهج المستخدمة في دراستها التي تعكس اتجاهات ايدولوجية محددة . إن مفهوم الطبقة يرتبط بصلة وثيقة بالاتجاهات الأيدولوجية ، الذي كثيراً ما يظهر على أنه صراع طبقي على الصعيد النظري . وغنى عن البيان أن الطبقة كمفهوم تفسيري لم يأت من فراغ تاريخي ، وإنما جاء كأحد مفردات نسق فكري واسع أراد معرفة التحولات التي خبرها المجتمع الأوربي إبان القرن التاسع عشر ، ذلك النسق الذي كان واعياً بأبعاد الزمان والمكان والأيدولوجيا في إطار التحليل الكلي الشامل . وإذا كان كوكبه من مفكري القرن التاسع عشر قد توصلوا إلى دلالات الطبقة التفسيرية ، فإن هذه الدلالات تختلف فيما بينهم .

ويعتبر مفهوم الطبقة من المفاهيم المحورية التي عرفها الفكر الإنساني منذ القدم . إن التأسيس لمفهوم الطبقة يرجعنا بصورة مباشرة إلى البدايات المبكرة للفكر الاجتماعي ، تلك التي يتصل جنورها بالفلسفة اليونانية القديمة ( أرسطو - افلاطون ) . ولكن سوسيولوجية الطبقة من حيث النظرية والمنهج تتحدد بمحاولات كارل ماركس "Marx" في نقده للنظام

الرأسمالي، أى أن بداية التفكير العلمى السوسيولوجى للطبقة تتحدد بالأفكار التى طرحها ماركس (١) .

ان الطبقة بمفهومها العلمى تعد إحدى نتاجات الفكر الماركسى ، إذ كان لهذا المفهوم الفضل كل الفضل فى وجود تفسيرات مضادة حاولت إفراز تعميم نظرى وإيديولوجى ، وميعة قضية انقسام المجتمع الى طبقات محددة المعالم ، تسود بينها علاقة سيطرة واستغلال من واحدة ، وخضوع لآخرى . ويعتبر كارل ماركس اول من قدم محاولة علمية لاستيضاح هذا المفهوم . وعلى الرغم من ان وجهات نظر ماركس فى موضوع الطبقة جاءت مبعثرة فى مؤلفاته ، الا أنه حددها بانها تجمع من الاشخاص تنجز عملا واحدا فى اطار عملية انتاجية واحدة ، وتختلف باختلاف وضعها الاقتصادى وموقعها من عملية الانتاج ، أى أن الطبقة تتحدد فى ضوء المهام المشتركة فى عملية الانتاج . وفى البيان الشيوعى أوضح ماركس أن مسميات هذه الطبقات تختلف فى المراحل التاريخية المختلفة (٢) .

وعلى الرغم من تحديد ماركس لمفهوم الطبقة ، الا أن الفضل فى اكتشاف وجودها لا يرجع له وهو فى ذلك يقرر " ... أنه لا يعود إلى الفضل فى اكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع الحديث ، ولا فى اكتشاف وجود الصراع الطبقي بينها ، فقبلى بكثير استطاع بعض المؤرخين البرجوازيين تشريح الطبقات اقتصاديا ..... ولكن الجديد الذى اتيت به يتمحور حول تأكيد أن وجود الطبقات دائما يرتبط بمراحل تاريخية معينة من تطور الانتاج ، وان الصراع الطبقي ينتج فى النهاية ديكتاتورية الطبقة العاملة ، وان هذه الديكتاتورية لا تعد سوى نقلة مرحلية لايجاد المجتمع اللاتبقى .. " (٣) .

ووفقا لكلام ماركس يتبين ان المحور الاساسى أو المتغير الاساسى لنشوء الطبقة هو الملكية ، أما المتغير الوسيط فهو تقسيم العمل . واذا كانت تلك هى الظروف الموضوعية لمنشأة

(١) انظر حول ذلك فى :

- السيد الحسينى " علم الاجتماع السياسى : المفاهيم والقضايا ، ص ١٧ .

- السيد الحسينى " نحو نظرية اجتماعية نقدية " ص ١٤ .

- غريب سيد أحمد ، الطبقات الاجتماعية ، ص ١ - ٣ .

- بوتومور : الطبقات فى المجتمع الحديث ، ترجمة محمد الجوهري وآخرين ، ص ٥٧ .

(٢) R. Bendix and S. Lipset, "Karl Marx's theory of social class cl, in : Bendix and Lipset (eds.) class, status, and power social stratification in coparative perspective, p.7.

(٣) أحمد القصير ، منهجية علم الاجتماع بين الوظيفة والماركسية والبنوية ، ص ٩٤ .

طبقة العمال ، فان الظروف الذاتية تتمحور حول الوعي . ان الطبقة الاجتماعية لا يتم تشكيلها بصورة نهائية إلا بوجود الوعي الذي لا يمكن أن يوجد إلا عن طريق الأيديولوجية الطبقيّة (١) .

لقد حلل ماركس المجتمعات الإنسانية فوجد أن الطبقات الاجتماعية في كل مكان هي هي . فمثلا في مؤلفه مع إنجلز " الثورة والثورة المضادة في ألمانيا " نجده يميز بين النبالة الاقطاعية والبرجوازية والبرجوازية الصغيرة والطبقة الفلاحية الكبرى والوسطى والصغيرة ، وطبقة القنانة والعمال الزراعيون وعمال الصناعة . وفي كتابه " نضال الطبقات في فرنسا " نجده يحدد الطبقات على النحو التالي : البرجوازية المالية والصناعية والتجارية والصغيرة ، والطبقة الفلاحية ، والبروليتاريا والبروليتاريا الرثة . أما في عصره فنجده يميز بين خمس طبقات هي : ملاك الأراضي والبرجوازية وصغار البرجوازيين . والفلاحون المزارعون والعمال الكادحون . ولكنه في الوقت ذاته يرى أن هذه الطبقات تختصر إلى طبقتين أساسيتين هما العمال والبرجوازية . وعلى الرغم من أن ماركس قد صنف الطبقات بشكل تفصيلي في المجتمعات البشرية ، إلا أنه لم يضع تحديدا دقيقا لها (٢) .

وربما لم يكن ماركس قد أولى اهتماما كبيرا لوضع تحديد دقيق للطبقات ، وإنما اعتبر الأهم أن يوضح حقيقة الانقسام الطبقي في المجتمعات الإنسانية بوجه عام ، والانقسام الطبقي في المجتمع الرأسمالي بوجه خاص ، لذا نجد لينين Lenin قد أولى هذه القضية اهتماما كبيرا فنجده يذهب إلى " أنها مجموعات كبيرة من الناس تختلف عن بعضها البعض في المركز الذي تشغله في نظام تاريخي محدد للإنتاج الاجتماعي . وبعلاقتهم مع وسائل الإنتاج وكذا بدورها في التنظيم الاجتماعي للعمل ، وبالتالي بالقدر والطريقة التي تستحوذ بها على نصيبها من الثروة الاجتماعية التي تقع تحت تصرفها . الطبقات هي مجموعات من الناس تستطيع إحداها أن تستحوذ على الأخرى نتيجة اختلاف المراكز التي تحتلها في نظام محدد للإنتاج الاجتماعي .. (٣) . إن ما أتى به لينين في الطرح السابق لمفهوم الطبقة يعد تأكيدا لما قرره " ماركس وإنجلز " من ارتباط الطبقات بالنمط التاريخي للإنتاج وبعملية تقسيم العمل الاجتماعي .

(١) ف . كيلي وم . كوفالزون ، المادية التاريخية ، تعريب أحمد داود ، ص ٢٢٥ .

(٢) ريمون آرون ، صراع الطبقات ، ترجمة عبد الحميد الكاتب ، ص ٢٠ .

(٣) ماناسيف ، أصول الفلسفة الماركسية ، ترجمة حمدي عبد الجواد ، ص ٢٣٥ .

لقد عرفت المجتمعات البشرية منذ ظهورها - ما عدا المجتمع البدائي - أشكالاً مختلفة من الطبقات . وبمعنى آخر ، أن الطبقات صاحبت ظهور المجتمعات البشرية ومعها وجدت مظاهر الصراع الطبقي والقهر الاجتماعي . إنه في كل مجتمع من المجتمعات الانسانية نظام طبقي يتلائم مع تطوره التاريخي وظروفه المادية . إن تمايز الناس إلى مجموعات تملك وأخرى لا تملك ، خلق وضعا متناقضا أدى إلى الصراع الطبقي . وفي ضوء ذلك يرى ماركس أن تاريخ المجتمعات الطبقيّة ليس إلا تاريخ الصراع الطبقي والذي بدوره يحدد وجود الطبقات وليس العكس ، وإن مجموع الصراعات الطبقيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة والايديولوجيّة ، يتحدد في نهاية الامر بالصراع الطبقي الاقتصادي في الإنتاج . أي أن الصراع الطبقي هو العملية التي بمقتضاها يتم إعادة استقرار الشكل السياسي الذي يحقق السيطرة الاقتصاديّة (١) .

وعلى الرغم من أن قضية الطبقة قد احتلت اهتماماً كبيراً عند ماركس "Marx" باعتبارها مقولة سوسيولوجية ووحدة لتحليل علاقات الإنتاج في مراحل تطور المجتمع الإنساني ، فإنها أيضاً تعد مفهوماً محورياً لتفسير صراع الانسان وتضالعه . إن بنود الصراع الطبقي تكمن في الظروف الاقتصاديّة ، وأن هذه الظروف تؤثر في المصالح الطبقيّة وتشكل الطبقات . ويرى ماركس أن هذه الظروف ويقصد بها ظروف المجتمع البرجوازي تساهم في تحول الجماهير إلى عمال لهم موقف ومصالحة عامة تتناقض مع رأس المال . إن هذه الجماهير في بادئ الأمر تكون طبقة في ذاتها ، وحينما يشتد الصراع يخلق منها وحدة واحدة ، وتصبح طبقة لذاتها ، حينئذ يغدو الصراع بين طبقة ضد أخرى (٢) .

ويرى ماركس ان العمال في المجتمع الرأسمالي يخضعون لعمليات نهب منظم من البرجوازية ، وأن العمال لا يأخذون القيمة الحقيقيّة لانتاجهم نتيجة انتزاع فائض القيمة التي تذهب إلى الرأسمالية . إن هذا الشكل من الاستغلال هو الذي يجعل رسالة العمال الأساسية تدور حول تحطيم الرأسمالية وبناء المجتمع اللاتبقي . وفي ضوء ذلك يرى ماركس أن

---

(١) ماركس وأنجلز ، البيان الشيوعي ، ص ٣٦ . وحول هذه القضية انظر :

T.B; Bottomore and M.J. Mulkey (eds.), Capital, labour and the Middle classes, p. 49.

(٢) كارل ماركس ، بؤس الفلسفة : رد على فلسفة اليوس لبرون ، ترجمة حنا عبود ، ص ١٦٥ ، ١٦٧ .

وأيضاً : كارل ماركس وأنجلز ، البيان الشيوعي ، المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

العمال ( البروليتاريا ) هي الطبقة الثورية الوحيدة من بين جميع الطبقات ، لأنها الطبقة التي تمثل أكثر آثار النهب والاستغلال ، فهي بحكم تنظيمها وبحكم تعاملها مع الآلة تمتلك الثقافة والوعي . وبحكم هذا وذاك يمكن إقامة ديكتاتوريتها (١) .

وإذا ما حاولنا أن نوجز أهم تصورات النظرية الماركسية حول الطبقات والصراع الطبقي لسجلنا أنه طبقاً لأفكار ماركس ، فإن مفهوم الطبقة يعتبر من المفاهيم المحورية في دراسة الصراع الطبقي ووحدة للوصف والتحليل . وأن الصراع بعد أساسي من أبعاد المجتمع الإنساني ، وأن الطبقات الاجتماعية تتحدد وفقاً لموقعها من ملكية وسائل الإنتاج ووعيا بمصالحها ، وأن الصراع يرتبط بالبناء الأساسي والبناء الفوقي ، وأن هناك تساند متبادل بين الوعي الاجتماعي والصراع الطبقي ، وأن الوظيفة الأساسية للصراع تتمحور في تغير المجتمع وإيجاد تكوين اقتصادي اجتماعي بدلا من آخر ، ومن ثم إحلال ديكتاتورية طبقة وهي البروليتاريا محل أخرى وهي الرأسمالية .

وإذا كانت الأفكار السابقة لمفهوم الطبقة تدخل في مصفوفة التصورات الكلاسيكية للنظرية الماركسية ، فإن ثمة أفكار أخرى تدخل في إطار النظرية التي اصطلح عليها بأنها الشكل المحدث أو الامتداد لها . إن مفهوم ماوكس عن الطبقة ، وكذا الفاعل الثوري الذي سيأتي بالشكل اللاتبقي للمجتمع طرأ عليه كثير من التعديل ، لذا فقد خصصنا السطور التالية لإلقاء بعض الضوء على أهم الأفكار التي تتصل بها .

لقد أضحت الماركسية موضع جدل ونقاش من الماركسيين انفسهم . ففي دراسة لبيرنشتين "Pernstein" حول البناء الطبقي نجده يخالف فيها التصورات الماركسية ، فيرى أن الماركسية بشكلها الكلاسيكي تحتاج إلى تعديل طالما أنه لم يحدث أي إسقاط طبقي وفقاً لما نظر له ماركس . ونتيجة لذلك فقد توصل إلى استنتاج سياسي مفاده أن التحول الاشتراكي يمكن أن يتم بعيداً عن التصورات الصراعية للماركسية ، بشرط أن يحدث بصورة تدريجية من خلال تغلغل الاشتراكية إلى الرأسمالية نتيجة ما تضطلع به الحركة العمالية من نشاط ، ونتيجة لتحالفاتها التي دشنتها مع قطاعات الجماهير المختلفة (٢) .

وفي ضوء عدم إتيان الطبقة العاملة بصيغة ثورية جديدة في أوروبا ، نجد أن ماكس أدلر "Adler" في عمليته له عن الطبقة العاملة يقوم بفحص دلالة ومغزى التمايز الاجتماعي المتزايد

(١) محمد أحمد الزغبى ، التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي .

ص ١٠٠ .

(٢) برتومور ، " الماركسية نسق نظري في علم الاجتماع ، ترجمة على جليبي في : برتومور ، نقد علم الاجتماع الماركسي ، ترجمة محمد على محمد وعلى جليبي ، ص ٤٤ .

وتطور الارستقراطية العمالية التي ربط بينها وبين تنظيمات العمل كما فعل ميشيلز ونجد أيضا رينر "Renner" قد أضاف إلى النظرية الماركسية بعض العناصر الجديدة . وفي تحليله لنمو طبقة جديدة من المديرين والعاملين والمأجورين التي أطلق عليها " طبقة الخدمة " ذهب إلى أنه في تطور المجتمعات الرأسمالية وجدت طبقتان أساسيتان هما : طبقة الخدمة والطبقة العاملة وأنهما متقاربتان ، بل أنهما في احيان كثيرة مندمجتان ، وبالتالي فإن هذه المجتمعات لم تشهد تمايزا واختفت فيها الطبقات المتناقضة (١) .

وبالنظر إلى مدرسة فرانكفورت - هوركهايمر وانورنو وماركيوز - التي تأثرت بشكل سافر باهتمامات صفار الهيجلين ، نجدها قد ذهبت على عكس ماركس في انها ترى أن الطبقة العاملة لا تمثل موضوعات أساسية . وعلى الرغم من أن أعمالها النظرية تعد جزءا متما للنضال الثوري الذي تقوم به البروليتاريا ضد الرأسمالية ، إلا أنها تخلع عن البروليتاريا هذا الدور ، لأن موقف البروليتاريا بالنسبة لهم لا يقدم ضمانا بمعرفة صادقة ، لأنها فقدت امكانياتها الثورية (٢) .

ووفقا لهذه الرؤية نجد أن ماركيوز "Marcuse" في كتابه " الإنسان ذو البعد الواحد " يرى أن البلاد الرأسمالية الصناعية قد تخلصت من أى قوة حقيقية قادرة على إيجاد تحولات جذرية في المجتمع ، ومن ثم قيام مجتمع جديد . فإذا كان ماركيوز قد تقابل مع الماركسية في الصراع ضد الرأسمالية ، إلا أنه يسحب الثقة من الطبقة العاملة في إحداث هذه التحولات (٣) . وفى كتابه " الثورة والثورة المضادة " يحاول البحث عن قوة ثورية جديدة . فنجده يرى أن المنتظر من الطبقة العاملة القيام به لن يتحقق نظرا لما أصاب المجتمعات المتقدمة من تحولات جذرية نتيجة الطفرات التكنولوجية الهائلة ، لذا نجده يرى أن الثورة سوف تصدر من فئات أخرى غير الطبقة العاملة وهي : المنبوذين والملونين والعاطلين والأقليات المضطهدة ثم أخيرا أضاف الطلاب بعد حركات الاحتجاج في اوريا في عام ١٩٦٨ (٤) .

إن افكار ماركيوز حول الصراع الطبقي السياسى يعتبر موقفا رجعيا ، بل قل شديد الرجعية ، فهو بهذا الشكل يعطى تصريحا خطيرا للانسحاب من المعركة ضد الرأسمالية ، أو

(١) بوتومور ، المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) السيد الحسينى ، نحو نظرية اجتماعية نقدية ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢ .

(٣) هيربرت ماركيوز ، الانسان ذو البعد الواحد ، ترجمة جورج طاربيشى ، ص ٦٥ - ٦٧ .

H. Marcuse. Counter-Revolution and Revolt. p. 3-5.

(٤)

وراجع أيضا

A. Giddnes, profiles and critiques in social theory, 165.

يفسح المجال لتقدم الرأسمالية وتقهقر القوة الثورية الأصلية . إن ادانة ماركيز للطبقة العاملة وخلع الصفة الثورية عنها تعد دعوة استسلامية وانقياد أعمى لهوى المجتمع الرأسمالى .

ويبد أن ماركيز قد قلل من قدر الطبقات الاجتماعية فى المجتمعات الرأسمالية ، فإن صدى هذه الأفكار نجدها واضحة فى كتابات هابرماس "Habermas" وفيلمر "Wellmer" اللذان يبديان نفس الموقف لماركيز فى تخليهما عن الماركسية من خلال إنكارهما للدور الذى تلعبه الطبقة العاملة فى المجتمعات الرأسمالية المعاصرة . إذ يعتقد الأول أن إضفاء الطابع العقلانى على العلم والتكنولوجيا وتجاهل جوهر السيطرة الطبقيّة قد أضحت أهم ايدىولوجيات المجتمعات المتقدمة . أما الثانى فإنه لا يختلف كثيراً عن الأول إذ يذهب إلى أن الآمال قد خابت فى إيجاد وسيلة للتحرر تقوم على أساس اقتصادى . وعلى ذلك فليس من الضرورى أن ينصب التحليل على تكوينات جديدة كلية من الأبنية التحتية والفقوية . ويضيف فيلمر أن مفهوم ماركس عن الطبقة قد فقد قوته وقدرته التحليلية ، فلم يعد فهم التناقض بين البرجوازية والبروليتاريا فى ضوء قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج قائما ، وإنما يمكن فهمه فى ضوء الصراعات السياسية(١) .

يتضح مما سبق أن هذه الكتابات تعد تحريفا للمقولات الماركسية ، وبذا تعتبر انفصالا واضحا عن الماركسية حيث تجاهل جوهر السيطرة الطبقيّة وتأييد قيام النظام الرأسمالى . إن أفكار هذه المدرسة برغم مخالفتها للأفكار الوضعية ، فهى أفكار بديلة للماركسية ، وأحد اساليب الحفاظ على المجتمع الرأسمالى حيث نفى صفة الثورية عن الطبقة العاملة .

لقد كثر التفسير الذاتى للماركسية ، فعلى سبيل المثال نجد جرامشى ولوكاش وكورش يؤكثون على أهمية الوعى الثورى كمطلب أساسى للعمل السياسى . وذلك يعد ابتعادا واضحا عن أفكار ماركس الرئيسية . وفى ضوء أفكار جرامشى نجده يبنى كل توقعاته لا على النضال الثورى فحسب ، بل على بناء المجتمع الاشتراكى المتمثل بصورة أساسية فى تنظيم مجالس العمال . لقد أدرك جرامشى أن مسألة التنظيم هذه ، هى القاعدة الأساسية التى تسهل للطبقة العاملة عملية تجاوز عمليات الاستغلال الاقتصادى والضياع السياسى . وفى ضوء ذلك يرى جرامش أن البروليتاريا وديكتاتوريتها تقوم على الأشكال والتنظيمات التى تشعر فيها العامل بإبداعه من حيث كونه منتجا ، ومن حيث وعيه بقيمته ومستغليه . ويرى جرامشى أنه من خلال

---

(١) بوتومور ، فى البحث عن بروليتاريا ، ترجمة أحمد زايد ، فى : بوتومور ، علم الاجتماع والنقد الاجتماعى ، ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، ص ١١٧ - ١١٨ .

ذلك فإن هذه الطبقة تستطيع أن تقود المجتمع ومن ثم تحقق هيمنتها على الطبقات الأخرى (١) .

أما لوكاش "Lukacs" فمن خلال تتبعه للتطور التاريخي للطبقة العاملة في المجتمع الرأسمالي يرى أن ظروف المجتمع الرأسمالي تسمح بتشكيل الطبقات نتيجة المصالح الاقتصادية المتعارضة التي تتكشف نتيجة الوعي الطبقي المكتسب أو الرشيد ، ويرى لوكاش أن الدعوة لسيطرة أية طبقة يأتي من خلال الوعي بالمصالح الطبقيّة الذاتية الذي يجب ان يأتي من خلال الوعي الطبقي التاريخي غير الزائف (٢) .

وبالنظر إلى بولانتزاس "Poulantzes" نجده يري أن الطبقة الاجتماعية تعد انعكاسا للأبنية الاجتماعية على أبعادها الاقتصادية والسياسية والأيدولوجية . بمعنى آخر أن الطبقات الاجتماعية لا تأتي نتيجة مستوى بنيوي بذاته ، وإنما تأتي كأعكاس شامل للأبنية في ميدان العلاقات الاجتماعية . إن تكون الطبقات لا يرجع إلى المستوى الاقتصادي وحده ، وإنما انعكاس لمستويات أسلوب الإنتاج أو التكوين الاجتماعي في مجموعها ، وأن العلاقات الصراعية على مستوى كافة الأبعاد والممارسات الطبقيّة هي إنعكاس لطبيعة العلاقات بين الأبنية وما تتخذة من أشكال العلاقات المتناقضة . إن هذه العلاقات تتحدد وفقا لها العلاقة بين الطبقات ( علاقات السيطرة والتبعية وكذا الممارسات الطبقيّة ) ، التي هي في الواقع علاقات سلطة والتي تعنى قدرة طبقة اجتماعية على تحقيق مصالحها وفرض هيمنتها .

وغنى عن البيان أن العلاقات القائمة بين الطبقات من وجهة نظر بولانتزاس هي علاقات سلطة أو قوة ، فإذا كان مفهوم الطبقة يعبر عن انعكاس مستويات البناء الاجتماعي ككل ، فإن مفهوم السلطة يقصر على العلاقات بين الطبقات الاجتماعية المتناحرة . وباعتبار ان السلطة مفهوم يعبر عن انعكاس مستويات البناء الاجتماعي برمته ، فإن العلاقات الطبقيّة في كافة مستوياتها هي علاقات سلطة أو قوة (٢) .

لقد تعرضت وجهة نظر بولانتزاس ومعالجته للطبقة العاملة وخاصة محكات اختيار وتقسيم الطبقة العاملة لسلسلة من النقد العام ، نجدها تتركز بشكل أساسي على شكل

(١) جاك تكسيه . جرامش : دراسات ومختارات ، ترجمة ميخائيل ابراهيم ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) لوكاش ، التاريخ والوعي الطبقي ، ترجمة حنا عبود ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٣) N. Poulantzas "on social" in : A. Giddens. D.Held (eds), classes, power and conflict and contemporary debets, pp. 101-102 .

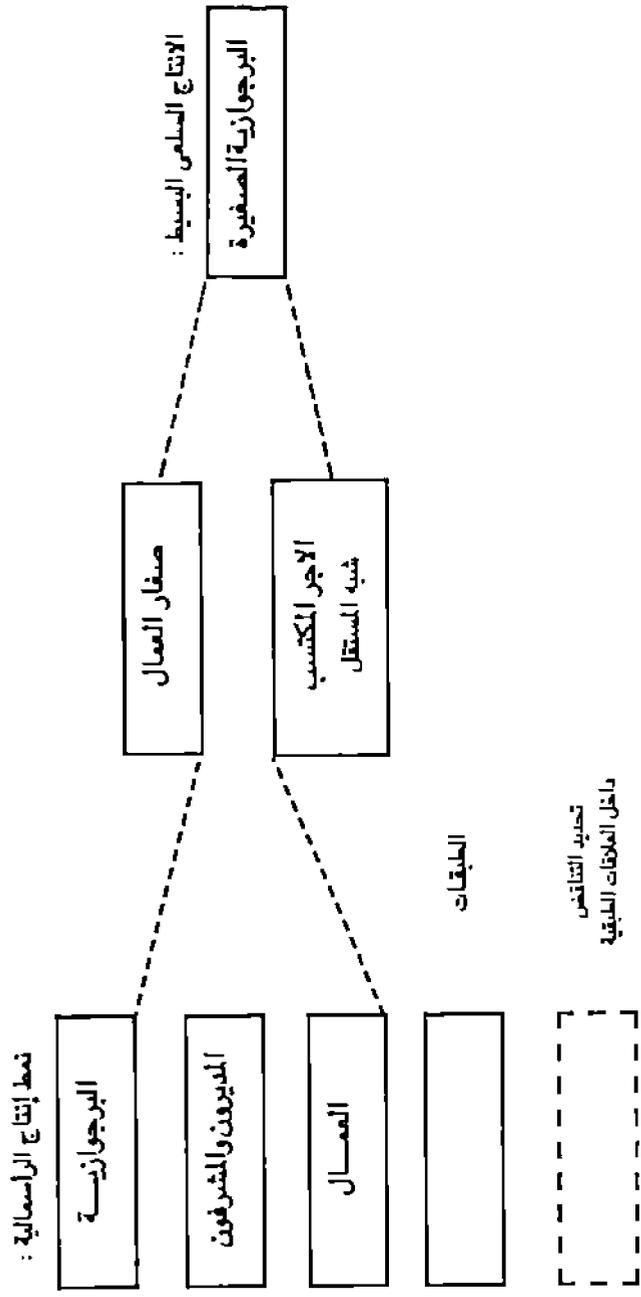
البروليتاريا وعلاقتها بالبرجوازية ، وكذا إمكانية الموافقة على التقسيم الاجتماعى المتناقض للعمل داخل التكوين الاقتصادى الرأسمالى . وفى ضوء ذلك يرى رايت "O. Wright" أن ثمة تناقضا فى العلاقات الطبقيّة الرأسمالية ، وأن هذا التناقض يتضح بشكل جلى إذا ما تعاملنا مع التركيب الطبقي بالنظر إلى أوضاع المهن . لذا نجده يركز مناقشته للتركيب الطبقي وتطور مختلف الفئات الاجتماعية من خلال المهنة . وهو فى ذلك يرى أنه يستخدم كلمة فئات كمحك ، برغم ما يثير حولها من انتقادات ، ولكن غرض التحليل هو الذى دفعه إليها . وهو فى ذلك يقول : إن شكل التركيب الرأسمالى وما يتميز به من خصائص موضوعية وما يثيره من تناقض هو الذى فرض عليه هذا التحليل وهذا المحك . إن التناقض الأساسى يتحدد وفقا للعلاقات الطبقيّة التى تشير إلى المشاكل القائمة فى داخل العلاقات الطبقيّة سواء أكانت بسيطة أو معقدة ويرى رايت أن الفهم الكامل لطبيعة التركيب الطبقي للمجتمعات الرأسمالية يتطلب أولا : ضرورة فهم العمليات المختلفة داخل مؤسسات العلاقات الطبقيّة ، وكذا التحول التاريخى فى مجرى عمليات التنمية الرأسمالية . ثانيا : فحص الطرق التى بها تباينت العمليات المختلفة التى ولدت عدد من المتناقضات داخل التركيب الطبقي فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة .

والوقوف على ذلك اصطنع رايت شكلا - انظر الشكل التالى - وضع فيه ثلاث مواضع رئيسية داخل التقسيم الاجتماعى للعمل فى إطار النظام الرأسمالى وهو من خلاله يرى أن المرء يستطيع أن يخرج بخصائص مختلفة أبرزها التناقض فى معيار المهنة ، أو طبقا لمفهومه فئات المهن داخل العلاقات الطبقيّة . ووفقا لمعيار الفئات هذه يرى رايت أن الفئات المهنية فى التكوين الاجتماعى الاقتصادى الرأسمالى تشتمل على ثلاث وظائف هى ، أولا : وظيفة المديرين المشرفين التى تلقى الضوء على التناقض بين البرجوازية والبروليتاريا ، أما الفئة الثانية : فهى شبه العمال المستقلة ذات الصلة بمستويات السيطرة العليا والتى فى الوقت نفسه تسيطر على العمليات الوسطى للعمل . وهذه العملية تبرز التناقض بين العمال والبرجوازية الصغيرة . أما الثالثة : فيرى رايت أنها الفئة التى تحدد التناقض بين البرجوازية والبرجوازية الصغيرة (١) . لقد اقترب رايت فى تحليله من التصنيف اللينينى للبنية الطبقيّة للمجتمع البرجوازي ، والذى وصف المجتمع بأنه يعرف ثلاث طبقات هى : البرجوازية ، والبرجوازية الصغيرة والبروليتاريا (٢) . وعلى الرغم من أن رايت نظر إلى العلاقات الطبقيّة فى المجتمع الرأسمالى

E.O.Wright "Class Boundaries and Contradictory Class Location", in : Giddnes and (١) Held, (eds.), classes, power and conflict, op. cit. pp. 112.

Lenin. Collected works. Vol. 26., Progress Publishers, Moscow, 1969, p. 96. (٢)

شكل رقم (١) : يوضح ملاقات التناقض الطبقي ومواقع القوى الطبقية (٥)



(٥) المصدر :

Wright E.O., Class Boundaries and Contradictory, Class Location, in: Giddness and Held, (eds.), op. cit, p. 114.

فى ضوء التقسيم الإدارى للعمل ، إلا أنه أولى تغير العمليات الاجتماعية اهتماما كبيرا ، ساعده فى معرفة المواقع الطبقيّة والطبقات . فعلى سبيل المثال نجده يركّز بصورة أساسية على السيطرة على العملية الإنتاجية وتدرج السلطة والبيروقراطية ومختلف الوظائف داخل المشروعات الرأسمالية . إن رأيت فى ذلك أعطى عملية السيطرة الإنتاجية فى النظام الرأسمالى أهمية كبيرة ومنحها ضرورة وجودية لمعرفة أنماط العملية الاجتماعية من جانب وفهم العلاقات الطبقيّة من جانب آخر (١) .

من كل ما سبق يمكن القول أنه على الرغم من أن المقولات النظرية التى عرضنا لها قد تباينت فى أطروحاتها ، إلا أنها اجتمعت على وجود التناقضات الطبقيّة داخل المجتمعات الرأسمالية . لقد أكدت الماركسية سواء التقليدية أو المحدثّة على وجود التشطر الطبقيّ فى المجتمعات الرأسمالية ومن ثم على وجود طبقة مستقلة وأخرى مستقلة ، وأن إزالة هذا الوضع لن يأتى إلا بوجود الوعى الطبقيّ الذاتى . إن الماركسية باعتبارها النظرية العلمية الوحيدة تشدد على أهمية الدور الثورى الذى تلعبه البروليتاريا فى إنهاء ودحض النظام الرأسمالى وهذا ما أثار حفيظة الكتاب والمفكرين البرجوازيين ، وجعلهم يديرون حوارا مع الماركسية أرادوا به باطلا . وهذا ما سنوضحه فى الجزء القادم .

### ثانيا ، البنائية الوظيفية وقضية الطبقة ، الحوار والنقد .

إذا كانت الماركسية أول نظرية اجتماعية تبرز الدور الاستراتيجى الذى يمكن أن تلعبه طبقة البروليتاريا ، إذ بينت دور الصراع الطبقيّ فى إطار عملية تاريخية تفسر الماضى والحاضر وتتنبأ بالمستقبل ، فإن المسرح الفكرى الأوروبى قد قدم رؤية مخالفة للرؤية الماركسية مؤكّدا على أهمية انتظام الحياة الاجتماعية والطابع التضامنى لا التنافسى بين الطبقات الاجتماعية . وإذا كان أوجست كونت قد اهتم بهذه القضية ، فإن كل المفكرين والعلماء الأوربيين الذين أتوا بعده ، قد أولوا هذه القضية اهتماماً كبيراً ، فبدت رؤاهم على حد تعبير " زابثلين " حوارا مع شبيح ماركس .

ويقرر كوكبة من علماء الاجتماع أن التقسيم الطبقيّ للمجتمع على أساس علاقة الطبقة بوسائل الإنتاج الاجتماعى لم يعد قائما فى القرن العشرين ، نظرا لسيادة العلاقات المتفاعلة بين الطبقات وبعضها ، تلك التى تعد العامل المحدد لطبيعة الحياة الاجتماعية . وينظر هؤلاء العلماء إلى أن المجتمع يتكون من مجموعات اجتماعية شديدة التنوع . ووفقا لهذه نظرة فإن

Wright, L. E.O. Class Boundaries and Contradictory Class Location. Op. Cit., p. 114.

(١)

نظريات علم الاجتماع البرجوازي جاءت على أنها مركبات اجتماعية نفسية وثقافية تهدف إلى إخفاء أو رتق التناقضات الفاضحة للرأسمالية الحديثة . لقد استبدلت هذه النظريات فكرة تقسيم المجتمع إلى طبقتين ( البرجوازية - البروليتاريا ) بفكرة أخرى مفادها أن المجتمع ينقسم إلى مجموعات أولية وأخرى ثانوية ، ويتبدى ذلك بوضوح في أعمال جرين "Green" وكولي "Coily" (١) .

وهناك بعض المفكرين استبدلوا مفهوم الطبقات الاجتماعية بمفاهيم أخرى كالتدرج الاجتماعي ، حاولوا من خلاله رسم البناء الطبقي في المجتمعات الرأسمالية على أنه يضم شرائح اجتماعية عديدة ، وفيه حراكا اجتماعيا يصيب الأفراد ويسمح لهم بتغيير مكاناتهم الاجتماعية . لقد حاول هؤلاء إفراغ مفهوم الصراع الطبقي من مضمونه الاجتماعي نتيجة لوصفهم البناء الاجتماعي بكثير من السيولة الطبقيّة واتساع مفهوم التقدم والليبرالية والتكنولوجيا . وتعتبر أطروحات ماكس فيبر "Weber" في هذا الصدد من أهم المحاولات التي جاهدت لوضع رؤية بديلة للمفاهيم الماركسية حول قضايا الطبقة والتدرج الاجتماعي (٢) .

لقد حاول ماكس فيبر دراسة الطبقة الاجتماعية من منظور يختلف تماما عن المنظور الماركسي ، فهو يفرق بين التدرج الطبقي الذي أولاه ماركس كل الاهتمام ، والتدرج على أساس الهوية الاجتماعية أو الاحترام ، كما درس توزيع القوة السياسية في المجتمع باعتبارها ظاهرة مستقلة ، تلك التي اعتبرها ماركس احد نتائج التدرج الطبقي . وفي ضوء ذلك يحاول فيبر أن يقدم رؤية بديلة للتدرج الاجتماعي أكد فيها أن الملكية ليست العامل الوحيد لتحديد الطبقة الاجتماعية ، وإنما هناك بعدان آخران هما المكانة والحزب أو القوة ، ومن ثم فإنه من المناسب أن ينظر إلى المجتمع على أنه مكون من شرائح اجتماعية أو جماعات بينهما علاقات تنافسية لا صراعية (٣) .

ويعرف فيبر في كتابه "الاقتصاد والمجتمع" الطبقة بأنها جماعة من الناس تمثل موقعا أو مركزا طبقيًا واحدا ، وأن المركز أو الموقع الطبقي هو دلالات متشابهة لمصالح أفراد أو مجموعة أشخاص . ويقسم فيبر الطبقات الاجتماعية إلى طبقات عليا وتضم الأفراد المتميزين

---

(١) أوسيبوف ، قضايا علم الاجتماع : دراسة سوفيتية نقدية لعلم الاجتماع الرأسمالي ، ص ١٧٧ .

A. Giddens, op. cit., p. 181.

T.B. Bottomore and M.J. Mulkay, op. cit. p.7.

فى الإدارة والانتاج . ثم طبقة العمال التى يقسمها إلى ثلاث طبقات هم : العمال الماهرون وشبه الماهرون . وبين هاتين الطبقتين هناك طبقة وسطى تضم المزارعين والصناع والموظفين (١) . ففى إحدى المقدمات لأعمال فيبر حول مفهوم الطبقة ، يرى جرت وميلز "Gerth & Mills" أن فيبر قام بتحديد المشكلة الطبقيّة عن طريق السوق والدخل والملكيّة ، تلك التى أشار بها إلى وحدة الانتاج الرأسمالى (٢) .

وفى كتاب فيبر المعنون " بنظرية التنظيم الاجتماعى والاقتصادى " انتقد المفهوم الماركسى للطبقة من خلال طرحه لنظريته عن الطبقات . إذ يرى أن ماركس بالغ كثيرا فى أهمية العامل المادى فى تحديد الانتماءات الطبقيّة ، والتمايز الطبقي . فعلى الرغم من أهمية العامل المادى فى هذا الإطار ، إلا أنه ليس عاملا منفردا ، فهناك عوامل أخرى تحدد المنزلة الاجتماعية للفرد مثل العوامل الثقافية والدينية والسياسية . ولم يقف الخلاف بين ماركس وفيبر عند هذا الحد ، بل أنه اعترض على التحديد القاطع للطبقات ، ووجود الصراع بينها ، فهو يرى أن ثمة فئات وشرائح اجتماعية يشغل أفرادها مكانات اجتماعية ، ومن ثم أدوار اجتماعية مختلفة ، وأن الصراع الذى أولاه ماركس كل اهتمامه لا يقع بين الطبقات بقدر ما يقع بين الأنوار الاجتماعية فى المركز والمكانة والشرف الاجتماعى ، وهو ليس بصراع بقدر ما هو منافسة (٣) .

وينهج سوروكين نفس الخط المضاد والناقد لأفكار ماركس المادية فى تحديده للطبقة والتدرج الطبقي . وربما سوروكين يعد العالم الوحيد الذى جاء بنقد شامل للتفسير الماركسى . ويطلق سوروكين مصطلح الجماعة متعددة الارتباط Multi-bounded group ليشير إلى الطبقة الاجتماعية التى تتنوع بتنوع طبيعة الأسرة والقبيلة والطائفة والنظام الاجتماعى والقومية . وهو فى ذلك يرى أن المؤشرات الثقافية والاجتماعية لا ترجع إلى عوامل اقتصادية أو مادية ( كما يذهب ماركس ) ، وإنما ترجع إلى عدد من العوامل يكون العامل الاقتصادى إحداها وفى إطار أفكاره .

ويهتم سوروكين بالقضايا المرتبطة بمراكز الناس وما يحتلون من مراتب فى المجتمع الأمر الذى جعله يلهث وراء ترتيبهم فى محليات ، حتى يجنب نفسه الاعتراف بوجود الطبقة

M. Weber economy and society, p. 91-93.

(١)

H: Gerth and C.W. Mills (eds). from max weber, p. 69.

(٢)

M. Weber, the theory of social and economic organization, p. 426-430.

(٣)

وجوداً عضويًا في المجتمع . ويذهب أيضا إلى أن الثورات التي عرفها التاريخ تعمل على إنماء الهوة الاجتماعية ، وتغير أشكال التدرج الاجتماعي ولكنها في الوقت ذاته لا تعمل على هدم التدرج الطبقي ، أي أن التدرج الطبقي أمر طبيعي ودائم في أي مجتمع (١) .

وإذا كان ماركس قد ركز على العامل المادي وعامل تقسيم العمل في ظهور الطبقات ، وأن فيبر قد ركز على إنقسام المجتمع إلى شرائح مختلفة لها درجات متباينة من المكانة والهبة الاجتماعية ، فإن بارتو وميشلز "Parito & Michels" قد ركزا على أهمية القوة والنفوذ السياسي في تحديد الانتماءات الطبقيّة للأفراد فهما يؤكدان على أن المركز السياسي الذي يحتله الفرد يلعب الدور الرئيسي في تحديد مكانته الاجتماعية ، ومن ثم قوته وشرعيته وطبقته الاجتماعية .

أما موريس جنزبرج "Ginsberg" فيركز على عامل الوعي الطبقي Consciousness Class في تحديده للطبقة الاجتماعية ، ويقصد جنزبرج بالوعي الطبقي ذلك الشعور الذي يتعرض له الفرد بأنه ينتمي إلى طبقة أو شريحة بذاتها ، ويرى أن هذا الوعي يأتي نتيجة مشاركة أعضائها لظروف اجتماعية وثقافية واقتصادية وسيكولوجية واحدة ونتيجة تشابه أسلوب حياتهم وسلوكياتهم وأفكارهم ومعتقداتهم وقيمهم وأهدافهم .

ويرد ريمون أرون "Aron" على جنزبرج في ذلك ، ويذهب إلى أن تحليل أي مجتمع معقد فانه ينبغي الكشف عن المجموعات الأكثر واقعية ، وأن واقعية المجموعات تتحدد وفقا للتماثل في طرائق المعيشة والتفكير لدى الأفراد أو عن طريق التماثل بينهم . فعلى الرغم من الرابطة الضرورية بين هاتين الظاهرتين ، فهناك أفراد يختلفون كثيرا في طريقه المعيشة ويشعرون بانهم أعضاء في طبقة واحدة ، وهناك أفراد يعيشون ويفكرون بطريقة مماثلة وقد لا يكون لديهم الوعي نفسه ولا يقعون في مصفوفة طبقية واحدة (٢) .

ومن خلال مجموعة المحكات التي طرحها المفكرون البرجوازيون في تحديد الطبقة الاجتماعية نجدهم بالغوا في قدرة بعضها في فهم أشكال التدرج الاجتماعي . فعلى سبيل المثال نجد أن مفهوم المكانة الاجتماعية قد احتل موقعا متقدما في معظم التحليلات ، ففي دراسة للويد وارنر "Warner" عن الطبقات الاجتماعية في مدينة جونسفيل يخلص إلى وضع

(١) غريب سيد أحمد ، الرجوع السابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) احسان محمد الحسن ، البناء الاجتماعي والطبقية ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

ست طبقات هي : الطبقة العليا والوسطى والسفلى ، وقسم بداخل هذه الطبقات كل منها إلى طبقة عليا وأخرى سفلى . وفي هذه الدراسة يحاول وارنر أن يدمج بين المكانة الناتجة عن الثروة بالمكانة الموروثة والمستمدة عبر الزمن . ثم طبق وارنر هذا التقسيم على مدينة لوهافر وتوصل إلى نفس النتائج . وعلى الرغم من أن هذه الدراسة قد أبرزت حبكة منهجية واضحة . إلا أنها كانت ترى أن الطبقة جماعة مهنية تعتمد في التصنيف على شعور الأفراد لأنفسهم . ناهيك عن عدم الاكتراث بالبعد التاريخي وما يطرأ على البناء الطبقي في المدن الامريكية من تحولات (١) .

وعلى الرغم من أن الطبقة في كل التصورات السابقة ترتبط بتصوير المكانة الاجتماعية ، إلا أن ثمة اتجاه يتزعمه تالكوت بارسونز "Parsons" يتخذ من النسق القرابي والقيم الاجتماعية معيارين للتصنيف الطبقي . فهو في تحليله للتدرج الاجتماعي يحاول أن يمزج بين مفهوم الطبقة والنسق القرابي باعتبارهما وحدة واحدة ، لذا نجده يرى أن الطبقة هي مجموعة من الناس تتشابه قيمهم في توحدهم القرابي . ووفقا لرؤى بارسونز فإنه بين البناء الطبقي والقرابة علاقة جدلية قوامها التآثر والتأثير ، كما أن النسق المهني والتدرج الطبقي يسيران في خط واحد يصاحبهما الروابط القرابية . وأن هناك قيما متشابهة يفرزها الموقع الطبقي الواحد (٢) . وفي ضوء ذلك يضيف بارسونز أن عملية التدرج الطبقي عملية مصاحبة بالضرورة للتباين الاجتماعي أو بمعنى آخر أنها نتيجة طبيعية لها (٣) .

ومن خلال تفسير وظيفي كلاسيكي يذهب كنجزلى دافز "Davis" وولبرت مور "Moore" إلى أن التدرج ضروري للمجتمع الذي يقوم على تقسيم اجتماعي يتسم بالتعقيد . ففي مثل هذه المجتمعات يقوم التدرج على توزيع المكافآت على المهن المختلفة . ويريان أن التدرج الاجتماعي عبارة عن ترتيب للأفراد أو المجموعات أو الفئات المهنية ، وأن هذا التدرج يسهم في أداء المجتمع لوظائفه . ويؤكد كل من دافيز ومور في هذا الصدد على انه لا يوجد مجتمعات بدون طبقات ، لذا فهما يريان أن التدرج الطبقي يقوم على الترتيب الهرمي للرتبة أو المكانة ، وأن هناك عوامل أخرى مثل الدين والحكومة والثروة وإدارة الملكية والعمل والانتاج والمعرفة التكنولوجية تسهم في ترتيب الأفراد تدريجيا من حيث المكانة ، كما أنهما يريان أن

---

(١) ريمون آرون ، صراع الطبقات ، ص ٥٧ . وأيضا : جورفيتش ، دراسات في الطبقات الاجتماعية ، ص ٦ .

(٢) ارفنج زايتلين ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع : دراسة نقدية ، ترجمة محمود عودة وإبراهيم عثمان ، ص ٥٨ .

T.Parsons, essays in sociological theory, p. 77-79.

(٣)

كمية الحراك الاجتماعى فى المجتمعات الصناعية نتيجة التطور التكنولوجى الضخم ، قد تعاضمت بحيث تمنع تاجر الطبقات فى أماكنها ، أى أن ثمة سهولة فى صعود وهبوط الطبقات فى المراكز الطبقيّة (١) .

جملة ما سبق أن تحديد الطبقة وفقا لأراء البنائية الوظيفية يقوم على أبعاد متعددة مثل الاقتصاد والمكانة والبعد السيكلوجى والقوة ، وأن هناك تركيز مكثف على المكانة باعتبارها الدعامة الجوهرية فى وجود وتصنيف الطبقات . وإذا كانت البنائية الوظيفية فى ضوء الأفكار السالفة قد حاولت أن تقف موقفا مناهضا من وجهة النظر الماركسية حول المحددات الرئيسية للطبقة ، وحتى وجودها ، فإنها أيضا تقف موقفا معارضا من قضية الصراع الطبقي . وعلى الرغم من أن الماركسية تركز على الصراع الطبقي ، فإن البنائية الوظيفية تركز على التناغم الاجتماعى والثبات واستمرارية الأبنية الاجتماعية . وإذا كانت الماركسية من خلال نظرة تاريخية قد ركزت على البناء المتغير للمجتمعات ، فإن البنائية الوظيفية قدم ركزت على تنظيم الحياة المجتمعية من خلال القيم العامة والمعايير . لقد جاهدت البنائية الوظيفية من أجل الإتيان بوجهة نظر مخالفة للصراع الطبقي واختلاف المصالح والقيم داخل المجتمع ، تلك القضية التى سوف تنصب حولها السطور القادمة ، والتى سوف نوضح فيها أهم وجهات النظر التى تقف موقفا معاندا أو مغازلا لقضية الصراع الطبقي لدى النظرية الماركسية .

فإذا كان ماركس قد رأى أن الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية سوف يحقق المجتمع اللاتبقى . فإن فييلن "Veblen" انطلاقا من هذه الرؤية يرى أن الصراع الطبقي هو صراع من أجل المصالح . كما أن كوزينسكى "kuezynski" يرى أن إفقار البروليتاريا فى المجتمعات الصناعية هو نتيجة أساسية للتفاوت والصراع فى هذه المجتمعات .

وبالنظر إلى موسكا "Mosca" نجده يتفق مع ماركس فى أن الصراع الطبقي هو العامل الحاسم فى تطور الإنسانية وتقدمها ، وأن الصراع يتضح من المقاومة بين أصحاب القمة ومن يحتل القاع . ويرى موسكا أن الطموح فى الصعود إلى أعلى يضع بذور الثورة بمعنى أن القوى الفردية والطبقية تسلك محاور جديدة من أجل تحضر العالم . أما ميشيلز فنجده يؤكد على أهمية الصراع الطبقي والوعى الطبقي كمحركات أساسية فى الوقوف على الطبقات القائمة فى المجتمعات . ويضيف أن البرجوازية تلعب دورا أساسيا فى انتشار الوعى

(١) محمود عودة : أسس علم الاجتماع ، ص ٢٠٨ ، وأيضا : غريب سيد أحمد ، المرجع السابق ، ص

أما عن أهم الاتجاهات التي وقتت موقفا صلبا من أفكار ماركس حول الصراع تلك التي تدور حول المفهوم الماركسي للطبقة الاجتماعية وتحديدها وتنبؤها بالمجتمع اللاتبقي ، فيتقدم إلى الصدارة هنا دارنورف "Dhrendorf" الذي يرى أن ماركس أضفى على مفهوم الطبقة معنى سوسيولوجيا ، لذا جاءت رؤاه ليست تصورا للتدرج الاجتماعي ، ولكنها أداة لتفسير التغير الاجتماعي . ويوجه دارنورف نقده إلى التنبؤ الماركسي للمجتمع الخال من الطبقات ، فيقول أن ماركس في هذه القضية كان يوتوبيا عندما تصور وجود مجتمع من غير طبقات وبلا صراع طبقي (٢) .

وهناك محاولة لبوخارين "Bukharin" سعت إلى إيجاد تركيبة ماركسية وظيفية ، رأى من خلالها أن المجتمع ، ما هو إلا نسق يتميز بتوازن دينامي بين الاقتصاد والتكنولوجيا والطبقات الاجتماعية والطبيعية . ويؤكد بوخارين أن هذا النسق يتميز بالدينامية وليس بالسكون . بل ويضيف أنه في حالة اضطراب مستمر تسبب في وجود مجموعة من التناقضات بين العمل ورأس المال من ناحية ، وبين الأيديولوجيات من ناحية أخرى ، وبين القوى الإنتاجية الخاصة والقوى الإنتاجية الجمعية من ناحية ثالثة . ويرى بوخارين أن التوازن يتحقق من خلال الاجماع القيمي المتجسد في الأيديولوجيات التي تخدم أهداف النظام الاجتماعي القائم . وفي ضوء ما سبق يمكن القول أن بوخارين ينظر إلى المجتمع في ضوء عمليتي الموازنة والتكيف مع التغيرات الداخلية والخارجية . ويبدو أن محاولات التاكيف بين الماركسية والوظيفية كانت تأتي إبان الأزمات التي تحدث في الأنظمة الرأسمالية بهدف إحداث ضربا من التوازن (٣) .

وبالنظر الى رؤية زيميل "Simmel" حول الصراع ، نجده يرى أن الصراع عملية اجتماعية أساسية من عمليات التفاعل الاجتماعي ، ونوع من المناقشة المباشرة بين الأفراد حول رغبات وحاجات ومصالح متعارضة . وهو في ذلك يرى أن البناء الاجتماعي يشتمل على مجموعات متباينة من القوى الاجتماعية المتباينة . ويميز زيميل بين نوعين من الصراع ، الأول شرعي والآخر غير شرعي . فإذا كان الأول يتم على المستوى القومي ويتمثل في الصراع

(١) غريب سيد أحمد ، المرجع السابق ، ص ٦٧ - ٦٩ .

(٢) عبد الباسط عبد المعطى " المادية التاريخية والصراع الطبقي في : عبد الباسط عبد المعطى وعادل

الهوراي . النظرية الاجتماعية المعاصرة ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٣) السيد الحسيني ، نحو نظرية اجتماعية نقدية ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ - ١٢٩ .

الاقتصادى ، فإن الأخر فردى ويتم على مستوى الأفراد . لقد حاول زيميل أن يوضح أن الصراع له وظائف إيجابية وسلبية يصعب الفصل بينها ، وهو هنا بعكس ماركس الذى ركز على دور الصراع فى التغيير والتطور الاجتماعيين (١) .

أما بارسونز فقد نظر إلى الصراع على أنه أحد الركائز الأساسية للنظام الرأسمالى ولعمليات التدرج الاجتماعى . ويرى أنه بين الإنتاج الرأسمالى والتدرج الاجتماعى علاقة تساند وظيفى . لذا نجده يقرر أنه عند دراسة الأساس الوظيفى للتدرج الاجتماعى يراعى تحليل شكل العلاقات الاجتماعية المتكاملة والمنظمة داخل النسق ، وأنه لادراك هذا التحليل لابد وأن نضع أمامنا المعايير التى تتحكم فى كل من الأعلى والأدنى على السواء . ويوضح بارسونز أن ثمة مظهر تنافسى يسود بين الأفراد ، هذا المظهر الذى يبرز وجود نوع من التوازن . إن الصراع مرض قائم بالنسق ولا مفر من حدوثه . وجدير بالذكر أن بارسونز استخدم مفهوم الصراع بمفهوم التوتر "Tension" وربطه بمفهوم القرابة ، وحاول أن يربط بينه وبين المرض البشرى ، فحكم عليه بأنه معوق وظيفى . ولكن ينبغى أن نعى أن ليست كل الصراعات معوقة وسلبية وأن ذلك يوضح بجلاء التزام بارسونز المسبق بأيدولوجية الحفاظ على النظام القائم ، تلك التى تتضح فى إهماله لحقيقة علاقات القوة والدينامية الطبقيّة والصراع الذى مر عليه سريعا دون التعمق فيه (٢) .

نخلص مما سبق أن علم الاجتماع الغربى فى كل ما قدم من رؤى حول الطبقة والصراع الطبقي يسعى إلى محاولة تفسير وتبرير والدفاع عن شرعية البناء الاجتماعى القائم فى البلدان الرأسمالية . إن هذا العلم هو جزء من نظام اجتماعى يسعى إلى البقاء والوجود إلى الأبد ، وأن كل الأطروحات التى يقدمها ما هى إلا أداة مطووعة فى خدمة الأهداف الرأسمالية . إن السوسيولوجيا الغربية قد استبعدت عن استخدامها مفاهيم مثل الرأسمالية والاستغلال والتناقض ، واستعاضت عنها بمفاهيم أخرى فارغة من الدلالات الأيدولوجية .

إن مداخلات تحليل البنية الطبقيّة ودروب التدرج الاجتماعى لم تشهد إجماعا بين الباحثين . فثمة بيانات جلية بصدد نظريات الطبقة الاجتماعية والتدرج الاجتماعى . ففى حين ركز علم الاجتماع الكلاسيكى على وصف التدرج الاجتماعى ، نجد أن التحليل الماركسى يركز

(١) عبد الباسط عبد المعطى ، "البنائية الوظيفية والصراع داخل النسق الاجتماعى" ، فى : عبد

الباسط عبد المعطى وعادل الهوارى ، المرجع السابق ، ص ١١٥ - ١٦٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٣ - ١٢٦ .

على بنية الطبقات وكيفية تشكلها داخل عملية الانتاج . لقد خرج الكتاب والعلماء البرجوازيون من مكنهم لكي يحاربوا قضية التفاوت الطبقي والصراع الطبقي ، أو بالأحرى التشكيك فى الانقسام الطبقي . ولكن لا نستطيع القول أن الانقسام الطبقي قد أنكر بشكل تام ، فهناك رؤى تحاول أن تزوج بين الماركسية والوظيفية ، والبعض الآخر اعتمد على قضايا التناغم الوظيفي والتساند ورقض فكرة الصراع ، وكوكبة ثالثة أقرت بوجود الطبقات . ولكن برغم تباين هؤلاء إلا أنهم جميعا أخذوا من القضايا الماركسية حول الطبقة موقفانقديا مناهضا ، أو قل أنهم أجروا معها حوارا نقديا عنيفا .

وإذا كانت المناقشة السابقة قد كشفت عن التباينات الجوهرية بين الرؤى النظرية المختلفة التى تحاورت حولها كل من الاتجاهات الماركسية والاتجاهات البنائية الوظيفية ، أو حتى المجدده لكل منهما ، فإن ثمة تساؤل هام يثور فى هذا الصدد وهو : إلى أى مدى تنطبق هذه المقولات على الواقع الطبقي لبلدان العالم الثالث ، ذلك البناء الذى تشكل وفقا لاعتبارات داخلية وخارجية معا . وهذا محور حديث الفصل القادم .